الحياة الدينية في ممالك النوبة المسيحية

مستخلص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز النظام الديني الكنسي في الممالك النوبية المسيحية وأهم ملامح المجتمع النوبي وطبقاته . كما تكمن أهمية هذه الدراسة في تبيان الدور المهم للمجتمع النوبي ونظامه الديني في ممالكه المسيحية . سوف تتبع هذه الدراسة منهج البحث التاريخي و الوصفي بكافة أساليبه من وصف وتحليل ومقارنة ونقد واستنتاج وفقا للحاجة التي تقتضيها الدراسة. أهم النتائج تتمثل في معرفة البعثات التبشيرية التي تمّ إرسالها إلى بلاد النوبة . كذلك المذاهب المسيحية التي انتشرت فيها . ابراز النتائج والكشوف الأثرية الحديثة للفترة المسيحية في السودان . توضيح طبقات المجتمع النوبي في الفترة المسيحية.

Abstract

This study aims at highlighting the Christian Nubian kingdom ecclesiastical religious system and the most important features of Nubian social classes. This study is significant in demonstrating the important role of Nubian society and its Christian kingdom religious system.This study will follow the historical research method with all its methods of description, analysis, comparison, criticism, and conclusion, according to the needs of the study. The most important results are the knowledge of the missionary missions sent to Nubia, as well as the Christian doctrines that spread there, highlighting the modern archaeological results and discoveries of the Christian period in Sudan, and then clarifying the classes of Nubian society in the Christian period.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز النظام الديني الكنسي في الممالك النوبية المسيحية وأهم ملامح المجتمع النوبي وطبقاته .

أهمية الدراسة :-

تكمن أهمية هذه الدراسة في تبيان الدور المهم للمجتمع النوبي ونظامه الديني في ممالكه المسيحية .

مشكلة الدراسة.

يمكن أن نلخص مشكلة الدراسة في النقاط الآتية:-

1. ما فلسفة النظام الكنسي في الفترة المسيحية .
2. ما هي أنواع طبقات المجتمع النوبي في الفترة المسيحية .
3. ما دور البعثات الأثرية في التعريف بالإرث الحضاري للممالك المسيحية في بلاد النوبة .
4. كيف ساهمت البعثات الأثرية في إثراء العمل الثقافي والحضاري ونشره.

منهجية الدراسة :-

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي و الوصفي والتحليلي بكافة أساليبه من ومقارنة ونقد واستنتاج وفقا للحوحة التي تقتضيها الدراسة .

هيكلة الدراسة
أولاً : البعثات التبشرية المسيحية :

ثانياً : الاكتشافات الأثرية :

ثالثًا : المجتمع النوبي في الفترة المسيحية
رابعاً : الحياة الدينية والنظام الكنسي في بلاد النوبة.

مقدمة :

بعد تدهور و زوال مملكة مروي قامت في بلاد النوبة ثلاثة ممالك مسيحية، كانت نتاج صراع قوي بين شعوب تلك المناطق خلال الفترة مابين 350- 500م، للسيطرة على موروث الدولة المروية وظهر الجنس النوبي بقوة في المشهد السياسي ، وعلى إثر هذا الصراع ظهرت مملكة نوباتيا في الأجزاء الشمالية من البلاد وكانت مدينة فرس عاصمة لتلك المملكة ، وتنصرت هذه المملكة على المذهب اليعقوبي كما تنصرت مملكة المقرة على المذهب المالكاني ، وكانت مدينة دنقلا العجوز عاصمة لها , أما مملكة علوة والتي سيطرت على الأجزاء الوسطي والجنوبية اعتنقت المسيحية على المذهب اليعقوبي نسبة لعلاقتها القوية مع ملوك نوباتيا .

ولقد حوت الدراسة أيضاً على كيفية دخول المسيحية إلى بلاد النوبة , ثم لمحة عن المجتمع النوبي في الفترة المسيحية وطبقاته الثلاثة الحاكمة والموظفين وعامة الناس ، وأيضاً تطرقنا إلى الحياة الدينية والنظام الكنسي ومدى ارتباطه بالكنيسة الاسكندرية والبيزنطية .

المسيحية في بلاد النوبة :

عبد أهل السودان قبل دخول المسيحية مجموعة من الآلهة أشهرها إيزيس الهه الخصوبة حيث بنى له الملوك معابداً في حزيرة فيله ، حتى أصبحت الجزيرة منطقة مقدسة يهاجر اليها الناس من ممالك النوبة الثلاث ومواطن البلميين , ومصر في الشمال . ومما لا شك فيه أن اليهودية كانت قريبة من النوبيين حيث سكنت جالية يهودية كبيرة في جزيرة الفنتينة المقابلة لأسوان , ومارست التجارة بين مصر ونوباتيا لكن رغم ذلك لم تنتشر اليهودية في بلاد السودان إلا في إطار ضيق مثل الخصي الذي ورد في (سفر اعمال الرسل , الاصحاح الثامن من 26 -29) انه كان يقرأ إشعيا مع فيلبس ثم بشره الأخير وعمده مسيحياً .(1).

تسربت المسيحية إلى بلاد النوبة عن طرق مصر التي عرفت الميسحية منذ القرن الاول الميلادي ولقد كان دخولها مبكراً أى يسبق البعثات التبشيرية الرسمية التي أرسلت في منتصف القرن السادس الميلادي , ومن ذلك ما يروى عن دخولها بلاد النوبة عن طريق المبشرين المصريين في القرن الاول والثاني الميلادي . ولقد كانت بلاد النوبة من البلدان التي فر اليها اقباط مصر من اضطهاد اباطرة روما منذ عصر الامبراطور دقلديانوس , كما ساهم الاختلاف المذهبي كثيراً في في هذا الاضطهاد . لذلك لم

يجد بداً من الفرار الى بلاد النوبة , الذين كانوا يغارون علي المناطق الجنوبية بشكل متكرر، فحاول الرهبان كسب ود هؤلاء المغيرين وتنصيرهم . (2)

توالت الهجمات من النوباتين والبلمين علي أديرة طيبة في منتصف القرن الخامس الميلادي الشيء الذي جعل أسقف فيلة يستغيث بالإمبراطور سيوديوس الثاني (408- 450) , فقام مكسيمينوس بمحاربتهم وانتهى الأمر بينهم بعقد هدنة لمدة مأئة عام .

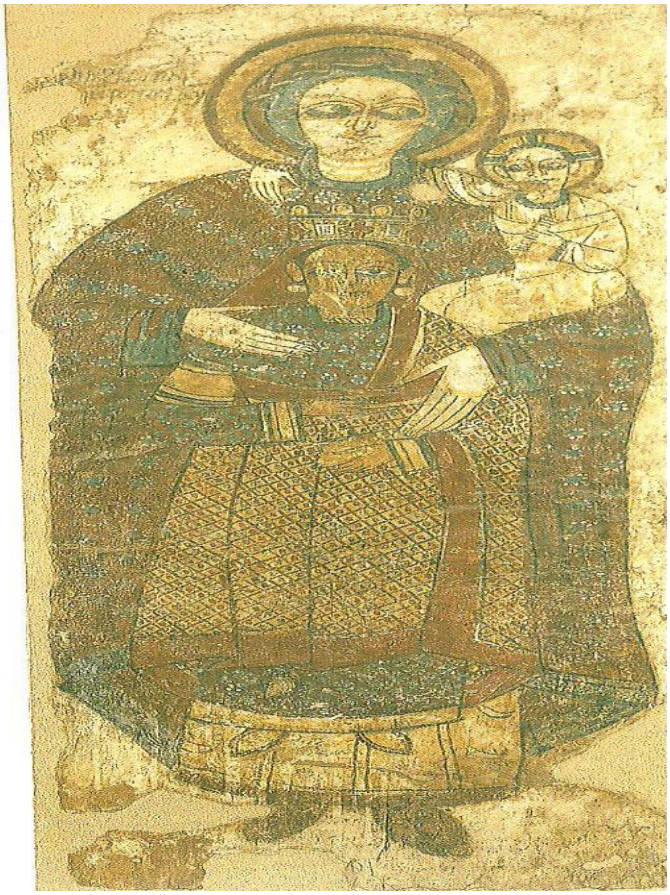

السيدة العذراء ماري تحمل الرضيع يسوع (ارشيف الهيئة العامة للأثار والمتاحف)

ومع قرب انتهاء مدة الهدنة خشي الرومان تجمع البلمين والنوباتين في فيلة مرة اخرى , لذلك عمدو على استمالته للنوباتيين لطرد البلميين من وادي النيل , وكان الوسيط في هذا التقارب ثيودور أسقف فيلة وأسوان الذي وثق علاقته مع زعماء النوبة وقام بزيارات عديدة لبلادهم . تمكن من خلالها التمهيد لدخول النوبيين في الدين المسيحي , وشجّع هذا التقارب جستنيان ،إلى اغلاق معبد فيلة وإرسال تماثيل الالهة إلى القسطنطينية حوالي 543م وحول المعبد الى كنيسة مسيحية (3) واعتبر البعض أن سلكو أول ملك مسيحي في بلاد النوبة , اعتمادا على ما ورد في نقشه من أن الله قد حقق له النصر . وإشارته الى ان اعداءه قد اقسموا له بأوثانهم أن يحفظوا بنود السلام .

لكن هنالك كثير من الشواهد الأثرية التي تشير الى دخول المسيحية إلى بلاد النوبة في وقت مبكر من حكم الملك سلكو , حيث وجدت كثير من التحف في قبور الكيمان ببلانة وقسطل وزخارف مسيحية شكلت بنفس الانماط الشائعة في القرنيين الخامس والسادس الميلاديين في بلاد الشرق المسيحي . كما وضع

الصليب في كثير منها , كذلك يبدو الأثر المسيحي السابق لمجيء البعثات التبشيرية ، فيما كشف عنه من مسارج والوان فخارية مسيحية زخرفت بعلامة الصليب في مستوطنات المجموعة الغامضة (س) على جزيرة مينارتي. وتثبت حفائر قصر ابريم بناء احدى الكنائس في اواخر عصر المجموعة (س) في جزء من معبد تهارقا . ولكن هنالك من يرى أن البعثات التبشيرية لم تكن سوى محاولة للاطمئنان على ولاء النوبيين لأى من الكنيستين , الامر الذي يدعمه عدم وجود معارضة قوية لتلك البعثات .

أولاً : البعثات التبشرية المسيحية :

هنالك مجموعة من الأسباب أدت الي إرسال بعثات تبشيرية الى بلاد النوبة , رغم أن الوصف الذي دون عن هذه البعثات يصور الأمر باعتباره سباقاً بين الملكانيين واليعاقبة لإحراز النجاح في هذه البلاد ، لكن كان لجستنيان دوافع سياسية ودينية جعلت حريص نشر المسيحية في هذه الناحية من الامبراطورية , ولم يبق له إلا أن يجذب البلميين والنوبة الى المسيحية فيسيطر على وادي النيل الاوسط وتأمين حدود امبراطورته ، كما وعدت بيزنطة إرسال جنود بلميين ونوبيين الى أكسوم لدعم غزو بلاد اليمن ضد الحميريين وحليفهم الفرس فيسيطر على البحر الاحمر والطريق التجاري على الهند .

مملكة نوباتيا :

تقع مملكة نوباتيا ما بين الشلال الأول بأسوان وآخر منطقة للشلال الثاني المعروفة بأسم بطن الحجر(4) وكانت عاصمتها فرس (نجراس) وتمتد في مساحات واسعة يخترقها النيل , نشأت هذه المملكة في منطقة النوبة الشمالية بعد سلسة صراعات بين البلميين والنوباتيين ورجحت اخيراً كفة النوباتيين ودفعوا البلميين إلى الصحراء الشرقية .

نتج عن هذا الصراع ظهور الملك النوباتي سلكو الذي تصدى للقبائل البلمية , وله نقش وجد محفوراً على أحد جدران معبد كلابشة تخليداً لانتصاره (5) .

توسع النوباتيين من الناحية الجنوبية، ثم بدأ اتصالهم بالرومان الذين شجعوهم على محاربة البلمين وطردهم من وادي النيل , مثلت سياسية سلكو مع الرومان موقفاً دبلوماسياً حكيماً ، لان دولته كانت ناشئة وفي حاجة إلى مساعدة من دول عظمى مثل روما .

ويمكن وصف الملك سلكو بالمؤسس لمملكة نوباتيا . أما عن دخول المسيحية في مملكة نوباتيا لا يوجد تاريخ دقيق يفصل بين فترة الوثنية والمسيحية لكن المساعي الرسمية كانت في منتصف القرن السادس الميلادي ، بالرغم من أن الآثار المسيحية موجودة في بلاد النوبة ومدافنها منذ القرن الأول الميلادي .

وأدى التنافس بين المذهب المالكاني واليعقوبي خاصة بعد تعاطف الامبراطورة ثيودورة مع الكنيسة المصرية (اليعاقبة) , ولذلك أرسلت القس يوليان ومعه أسقف مدينة فيلة , ووجدت هذه البعثة الترحيب واستقبالا ملكياً , وقبل النوباتيين هدايا الامبراطورة وسرعان ما أعلن الملك وأمراؤه اعتناقهم للمسيحية على المذهب اليعقوبي , وشرح جوليان للنوبة اسباب الاختلاف المذهبي واضطهاد الامبراطور للقس ثيوديوس وعزله ونفيه . ثم اخبرهم بأن سيأتيهم رسل الامبراطور حاملين معهم تعاليم الضلال وحذرهم من الاستماع اليهم , لذلك اعتذر الملك النوبي من رسل الامبراطور في اتباع مذهبهم . ثم قام جوليان بتعميد الملك وامراء نوباتيا . لذا يتضح أن ملكة نوباتيا أول مملكة نوبية تعتنق المسيحية على المذهب اليعقوبي , وتدين بالولاء والطاعة للكنيسة القبطية .

مملكة المقرة :

قامت هذه المملكة إلى الجنوب من مملكة نوباتيا وامتدت رقعتها حتى مروي القديمة، أي امتدت حدودها بين الشلالين الثاني والخامس (6) ولقد مثلت مدينة دنقلا العجوز عاصمة لهذه المملكة والتي تقع في الضفة الغربية للنيل الى الجنوب من مملكة الأبواب في منطقة كبوشية . أشهر آثار هذه المملكة تمثلت في القصر الملكي الذي يعود للقرن الخامس الميلادي , ويقول ابن سليم الأسواني أن مقرة، جنس كانوا يقيمون على النيل , وينتسبون الى جدهم مقري وهو حميري من اليمن , وهم جميعاً من أولاد حام بن نوح عليه السلام(7).

بالرغم من ندرة المصادر حول تنصير مملكة المقرة إلا أن آثار وشواهد القبور والأدعية التي وجدت كلها تشير الى أدعية الكنيسة البيزنطية والتي لا شبيه لها في مصر , مما يعزز الرأي القائل بملكانية مملكة المقرة ودور بعثة الامبراطور جستنيان قي تنصير أهل المقرة , وازداد نفوذ المالكانيين في بلاد النوبة بإرسال أسقف فيتافه بالنوبة السفلى . ولقد ذكر يوحنا البكاري وهو مالكاني المذهب كان شاهد عيان على قدوم وفد من المقرة إلى الإمبراطور جستنيان (8), وعبروا عن رغبتهم في العيش تحت السلام الروماني ودخولهم في المسيحية .

ويمكن أن يكون هذا الوفد واحداً من أهداف ملك المقرة لاكتساب ود الإمبراطور ضد ملوك نوباتيا وعلوة اللتين كانتا تدينان بالمذهب اليعقوبي .

مملكة علوة :

امتدت هذه المملكة ما بين الشلال الخامس الى جنوب ملتقى النيلين في منطقة الجزيرة وبين علوة ودنقلا مسيرة خمسة ايام بالبحر (9) وشمالاً حتى منطقة الأبواب , ويرى كيروان أن حدودها جنوبا مدينة سنار.

ويرى بعض المؤرخين أن قيام مملكة علوة كان نتاج تدهور دولة مروي , فظهرت كيانات سياسية عديدة كونت مشيخات وممالك.

مثلت سوبا عاصمة لمملكة علوة والتي تقع على النيل الأزرق ، ولقد ذكرها الملك المروي نستاسن وكذلك الملك الأكسومي عيزانا , ويرى اليعقوبي أن علوة أسم لفرع من فروع النوبة وكانت عامرة بالسكان والقرى وتتوفر بها كثير من المياه لاتصال هذه المناطق بالنيل (10) , ولقد وصفت بالمملكة العظيمة ، وكان بها جيش قوي ، قسمت هذه المملكة إدارياً الى أقاليم ولكل إقليم ملك، من أشهر اقاليمها الأبواب أو الراحراح .

اتسمت العلاقة بين نوباتيا والمقرة بالعدائية ، وهذا العداء وقف عائقاً في طريق المبشرين المسيحين الذين كانوا ينوون الذهاب إلى علوة ، ونلاحظ هذا بعد إرسال ملك علوة أرفيولا رسالة الى ملك نوباتيا يعلن فيها رغبته في اعتناق المسيحية ودعوة الأسقف لونجنيوس لتعميده هو ورعاياه ، رغم مغادرته بلاد النوبة ذاهباً للإسكندرية إلا انه لبى رغبة ملك علوة وتحدى الصعاب التي وضعها له المالكانين في مملكة المقرة . إضافة الى رفض ملك علوة التنصير على المذهب المالكاني ، حتى وصل القسيس لونجنيوس إلى سوبا وعمّد الملك والأمراء وبعض الأحباش الذين وجدهم في علوة .

ثانياً : الاكتشافات الأثرية :

من الزخارف المسيحية التي زينت بها التحف تفريعات العنب المضفورة , وأشكال آدمية تشبه في زيها واوضاعها ما يوجد على التحف الفضية المنسوبة الى سوريا وانطاكية , كما تذكرنا بالتصاوير الجدارية في باويط وسقارة . ومن المعروف ايضاً أن مدرسة الاسكندرية الهلينستية قد تأثرت بالفن السوري في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي ، ويظهر هذا التأثير في المنحوتات والتصاوير الجدارية القبطية وتشبه بعض المباخر والمسارج وبعض الصناديق الخشبية المطعمة بالعاج التي عثر عليها في مقابر الكيمان والتحف المعاصرة لها في موضوعاتها الزخرفية واشكالها العامة وهذا ما تظهره الأواني الفخارية التي عثر عليها كما يبدو الاثر المسيحي السابق لمجي البعثات التبشيرية فيما كشف عنه من مسارج وألوان فخارية مسيحية زخرفت بعلامة الصليب في مستوطنات المجموعة الغامضة (س) على جزيرة مينارتي .(11)

وتشير الاكتشافات الحديثة لليونسكو الى أن الكثير من المقابر المتأخرة في عهد المجموعة (س) قد اختلطت بمقابر المسيحيين بدرجة لم يكن من اليسير معها التميز بينهما في حالات كثيرة سواءً في شكل البناء أو وضع الأجساد أو حتى مستلزمات الدفن ، لذا يمكن ملاحظة عدم التحويل في العادات الجنائزية بشكل كبير في بلاد النوبة بعد دخول الدين المسيحي .

ولقد أثبتت حفائر قصر ابريم بناء إحدى الكنائس في أواخر عصر المجموعة (س) في جزء من معبد بناه ترهاقا ، وهي تعتبر من اقدم الكنائس في بلاد النوبة . وكشفت الحفائر في قصر إبريم أربعة لفافات من البردي تمثل أربعة خطابات ربطت معاً في حزمة واحدة , وأول هذه الخطابات وأكبرها خطاب ملك البلميين الى ملك النوباتيين (12)

كنيسة دنقلا

أما الخطابات الأخرى كتبت بالغة القبطية وكانت موجهة من أفراد مختلفين إلى شخص واحد (سيد أولئك الذين ينتمون إلى النوبة)، وفي فرس وجدت البعثة البولندية على بقايا كنيسة بنيت بالطوب اللبن تحت أنفاق ما سمي بقصر الحكام النوباتيين والذي تؤرخه البعثة بحوالي منتصف القرن الخامس الميلادي.

ويرجح ضعف الجماعات المسيحية في نوباتيا إلى نشاط الجماعات الوثنية من النوباتيين والبلميين في القرن الخامس الميلادي ، لذا يمكن ان نخلص إلى أن البعثات التبشيرية وانتشار المسيحية في بلاد النوبة كان عبارة عن اطمئنان إلى هؤلاء النوبيين إلى أي من المذاهب (المالكاني ام اليعقوبي)، لذلك لم نلحظ معارضة قوية لهذه البعثات , ويمكن ملاحظة ذلك في خطاب سفير الامبراطور الروماني الى ملك النوبة من أن ملك الرومان يبلغه بأنه (في حالة اعتناقكم للمسيحية يمكنكم الارتباط بالكنيسة ومن يحكمها , ولا تكونوا منقادين ضالين وراء أولئك الذين طردوا منها)

ثالثاً : المجتمع النوبي في الفترة المسيحية :

تألف مجتمع النوبة المسيحي من ثلاث طبقات

- طبقة الحكام.
- طبقة الموظفين.

- طبقة عامة الشعب.
-

الطبقة الحاكمة : شملت الأسرة المالكة وعلى رأسها الملك وولي العهد وحكام الأقاليم ، وتتمتع هذه الطبقة بالحقوق الدينية والسياسية والتي جعلت منها طبقة مميزة ، ولقد برزت مكانة الملكة الأم وذلك ما تم الكشف عنه من تصاوير على جدران كاتدرائية فرس ، وكان نظام الوراثة السائد هو نظام الأمومة فيرث ابن البنت أو ابن الاخت ، وكان لملك النوبة السلطة المطلقة للبلاد من خلال ثلاثة عشر ملكاً ، كما لقب الملك ايضاً بعظيم النوبة الى جانب الملك كان هنالك حكام الأقاليم وهم نواب الملك ومناديبهم في الحكم في اقاليم النوبة الثلاثة عشر . ولقد مارس هؤلاء وظائف كهنوتية إلى جانب مهامهم الادارية .

أما طبقة الموظفين فهم الذين يقومون بأعمال نائب الملك , كما وجدت وظائف أخرى حملت القاباً بيزنطية ، مما يوضح تأثير النظام الإداري بالبلاط البيزنطي ، ومنها أمين خاص الملك ، حامل الرسائل أو البريدي ، حامل التاج ، وكبير الحراس ، وأمين الأختام .(13)

أما طبقة عامة الشعب فلقد كانت خاضعة للملك ووسيلة من وسائل التبادل التجاري لانتشار تجارة الرقيق ولا يعصون الملك ابداً .

رابعاً : الحياة الدينية والنظام الكنسي في بلاد النوبة :

على الرغم من اعتناق النوبيين للمسيحية لم يكن نابع من فهم عميق لها ، كما انه لم يكن هنالك علماء مختصين في الدين ، لكن الكنيسة النوبية تمتعت بسلطة كبيرة في البلاد ، نبعت من ارتباطها بسلطات الدولة . وقد سبقت الاشارة الى قيام حكام الاقاليم بوظائف كهنوتية الى جانب اعمالهم الادارية ، كما أشارت بعض النقوش إلى أن الاساقفة ورجال الدين من القساوسة والشمامسة والمرتلين عملوا بمهام إدارية مدنية . (14)

ويتجلى النظام الكنسي في بلاد النوبة في وجود خمسة عشر أسقفية , سبعة منها في مملكة المقرة وهي كلابشة ، وقورته ، وابريم ، وفرس ، وصاي ، ودنقلا, وشنقير قرب أبو حمد .وأثنان لم يتم التحقق من موقعهما مركة ، وكلمة . أما اسقفيات علوة فهي بورة ، وقاقارة ، ومرتين ، أروردياس وبنازي ومكنسة وكلها علي ضفاف النيل .

ولقد عبرت الرسوم الجدارية في الكنائس والقصور والمنازل عن انتشار الثقافة الدينية وزخرفتها بين مكونات الطبقتين العليا والوسطى إلى جانب كشفها عن مهارة الرسام النوبي ومصادر إلهامه , ولقد تنوعت المؤسسات الكنسية في هذا العصر ولم تقتصر على الكنائس البازليكية الصغيرة بل شملت الكاتدرائيات والاديرة والمشافي وأسهمت هذه المؤسسات بدور عظيم في النهضة التى شهدتها البلاد (15).

شهدة العقود الاخيرة من الفترة المسيحية اضطرابا شديداً في العلاقة بين مصر والمقرة خاصة بعد أن آل الحكم في مصر الى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس 1260م وحينها كان الخطر الصليبي ماثلاً على مصر , وتأزم الموقف أكثر عندما قاد ملك المقرة داود في العام 1272م حملة على ميناء عيزاب الاستراتيجي لمصر على ساحل البحر الاحمر . الحقت الحملة ضرراً بليغاً بالمدينة ، ولم ينته الامر عند

ذلك فلقد شن النوبة هجوماً كاسحاً على اسوان 1975م والحق بها ايضاً خسائر فادحة ، لذلك تعامل المماليك مع هذا الهجوم من منظور صليبي وامكانية التحالف بين النوبة والصليبيين .

صليب من فرس

كما شهدت المقرة نزاعاً طويلاً بين امرائها على العرش , الامر الذي ادى الى لجو بعضهم لسلاطين المماليك طالبين منهم الدعم العسكري ووافق المماليك بقية تبعية ملكهم لمصر حال ظفرهم به , وبدأت الحملات المملوكية على المقرة في العام 1275م بأمر من السلطان بيبرس وتوالت في عهد السلطان قلاوون الى أن نجحت اخيراً في تنصيب عبدالله برشمبو أول حاكم مسلم على المقلرة 1317م ولقد الحقت هذه الهجمات دماراً هائلاً بالمملكة , لم تقدر بعده على النهوض , فنفتح باب التغيير الشامل في بلاد النوبة اثر تدفق القبائل العربية البدوية عليها وتحول النوبة التدريجي الى الاسلام .(16)

وفي نهاية وتدهور دولة المقرة ظهرت مملك دوتاو ولم تجد هذه المملكة العناية المطلوبة من الباحثين , وقدر حاول آدمز تتبع المصادر التي وردت عنها المتمثلة في الوثائق والرسوم التي تم العثور عليها في منطقة النوبة السفلى . كما تناولها الأب فانتيني وأقدم تلك المصادر عبارة عن مجموعة من الوثائق تم العثور عليها عام 1974م في قصر ابريم تضمنت اسماء اثنين أو ثلاثة من ملوك دوتاو هم: موسى جورج وجورج وبازل الى جانب اسماء قساوسة وشخصيات أخرى , ويرجع تاريخ هذه الوثائق الى الفترة مابين عامي 1144- 1199م الموافق 539- 596ه

ويوضح هذا أن مملكة دوتاو كانت موجودة قبل هذا التاريخ ، وقد ذكر ابن المقفع وأبو صالح أن مملكة المقرة تنقسم الى ثلاثة عشر قسماً يطلق على كل قسم منها أسم مملكة ويحكمها ملك ويطلق على الملك في دنقلا أسم الملك العظيم أو الملك الكبير , ولكن لم تزكر المصادر اسماء تلك الممالك , فقد أطلق المقريزي مثلاً على الجزء الشمالي لمملكة المقرة كان يعرف عند النوبة (بصاحب الجبل) ولعل المؤلفين العرب كانوا يستخدمون لفظي (ملك) و (صاحب) كمترادفات وكما يبدو من تناول المصادر العربية فإن

سلطة صاحب الجبل تمتد من منطقة الشلال الثاني حتى حدود المملكة عند الشلال الأول شمالاً , ويعتبر حكامها من اجل الحكام في مملكة مقرة وميزه أبو صالح بلبس (العصابة والقرنين والسوار الذهبي).

ولكن تضاربت آراء المؤرخين حول مقر صاحب الجبل ،, فجعله أبو صالح مرة في مدينة بجراش (فرس) التي كانت عاصمة لمملكة مريس (نوباتيا) وفي مرة أخرى جعل أبو صالح مقر صاحب الجبل مدينة ابريم وفي مرة ثالثة جعله مدينة بوسقا , وقد ذكر ابن سليم اسماء المدن الثلاثة الكبرى في المنطقة وهي بجراش ويكتبها ابن سليم نجراش وابريم وأدوا . ويفهم مما ورد عند النويري وأبن الفرات والمقريزي أن مقر صاحب الجبل مدينة ألدو.

جانب من كاتدرائية قصر ابريم

وقد كتبت ألدو في بالمصادر العربية باشكال مختلفة فهي عند ابن أبي الفضائل ألدو أو دو وعند المقريزي ألدو وأدوى وضبطها النويري ألدوأو جبل عدا, فألدو أو دو او داو هي التي وردت في المصادر العربية بأسم دو وعرف ملوكها بملوك دوتاو وتقع دو بين مدينتي فرس وإبريم , وأثناء الصراع بين العمري وملك المقرة , استمال ملك المقرة اعداء العمري من عرب الشام واعطاهم اقطاعات في (ديدان, وأدوا)كما ذكر المقريزي .

فنحن أمام اراء متعددة حول مقر صاحب الجبل كما وردت في المصادر العربية ولما كان صاحب الجبل يحكم كل اراضي مملكة مقرة شمال الشلال الثاني فقد استبعدنا وجود ملك آخر في هذه المنطقة , فهل نفترض ان مقر صاحب الجبل كان يتجول من مدينة الى اخرى في بعض الاحيان ؟ لورود أربعة مقرات هي: بوسقا , ابريم , بجراش , ودو .هذا الافتراض يتعارض مع المصادر المقرية التي أوضحت أن دو كانت عاصمة للملكة منذ العام 1144م الموافق 539ه وسمي الملوك كلهم بملوك دو .

ولقد لخص آدمز دور القلعة في تاريخ المنطقة منذ القرن الثاني عشر الميلادي وأتضح أن المملكة اشتهرت في المصادر الاثارية بأسم دوتاو , وبينت المصادر الآثارية انها ظلت عاصمة لمملكة مسيحية

عثر على أسماء ثمانية من ملوكها وبعض أسماء من أساقفتها حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي أي قبل عشرين سنة فقط من تاريخ قيام سلطنة سنار الاسلامية .(17)

أما علوة فتعرضت بعد القرن الحادي عشر للضعف والتدهور ، ربما كان السبب الرئيسي في ضعفها ومن ثم زوالها يرجع الى جانب صراع نخبتها على عرشها ، هجرة القبائل العربية النبوية الى اراضيها وتغلغلها في ربوعها , مما أدى الى سحب البساط من تلك النخبة , فوقعت البلاد لقمة سائغة في ايدي الفونجيين المسلمين في العام 1504م الذين زحفوا اليها من موطنهم بأعالي النيل الازرق بعد أن تحالف معهم العبدلاب .

دخلت بلاد النوبة بعد ذلك في مد كثيف من الاسلمة والاستعراب , قادته القبائل العربية التي صاهرت النوبة , مستقلة نظامهم في توريث العرش القائم على الانتساب للام , فآل الامر الى الابناء الذين كان ولاؤهم للإسلام والثقافة العربية , وتعزز وجودها بالتجار العربر وعلماء الدين الاسلامي الذين قدموا من مصر والحجاز وبلدان المغرب .

خاتمة :

تناولت هذه الدراسة تاريخ الفترات المسيحية والاثر الاجتماعي على أهل النوبة في تلك المناطق ونلاحظ الجانب الحديث في تلك الفترة ودراستها على الرغم من قلة المصادر التاريخية التي تتناول الجوانب الاجتماعية , فكثيراً من الباحثين يميلون الى الجوانب السياسية وبناء الدولة وازدهارها ومن ثم تدهورها , تاركين حلقة المجتمع وكيفية تأثيره بالفترة التاريخية وتأثيره الفترة المعنية بإنجازاته , وهذا نلاحظه جلياً في الفترة المسيحية , فنجد أن النوبيين أضافوا كثيراً لخبراتهم المتراكمة خاصة في مجال الرسوم واستخدام الالوان والتصاوير المستوحاة من الكتاب المقدس , واحتكاكهم بالعلم الخارجي ومعرفة لغات جديدة حتى مستوى الشعائر الدينية وادبها , وخير مثال لذلك اللغة اليونانية والقبطية .

كما اضاف اهل النوبة الكثير لهذه الثقافة الجديدة فنلاحظ الكثير من العادات والتقاليد النوبية ظلت ثابتة في المجتمع النوبي كما استفادوا من المعابد التي كانت تابعة للدولة المروية في السابقة للمسيحية وممارسات بعض الشعائر الدينية باللغة النوبية ، خاصة في الفترات الأخيرة لهذه المرحلة .

المصادر والمراجع :

(1) د.محمد غيطاس – حملة اليونسكو واضواء جديدة على تاريخ النوبة – الاسكندرية – دار المعرفة الجامعية – 1987م – ص 121

(2) Crurn- B .W .E A Nubian prince in an Egyptian Monastery, in studies presented to Griffith, L1,pp,137- 148 Kirwan , LAAAXXIV , p 95.

(3) Amery, the royal tombs of Ballana and Qustul. Vol .1. pp 11.

(4) فانتيني – تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث- الخرطوم – 1978م- ص 23

(5) Adams-Nubia Corridor To Africa-London-1977-p 422

(6) فانتيني - مرجع سابق - ص 29

(7) عبدالمحمود ابو شامة – المسيحية من نبتة الى المهدية – الخرطوم – 2021م ص54

(8) فانتيني - مرجع سابق ص21
(9) د.محمد غيطاس- مرجع سابق ص 129
(10) د.محمد غيطاس - مرجع سابق ص 73
(11) عبدالمحمود ابو شامة - مرجع سابق ص 99
(12) Adams.w.y -.x Group remains in plumly j.m Qasr ibrim . 1976
(13) عبدالمحمود ابو شامة - مرجع سابق ص 102
(14) د.محمد غيطاس - مرجع سابق ص 76
(15) محمد مهدي ادريس – النقبة المسيحية – لمحات من التاريخ والحضارة 500-1500م – مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي – 2023م ص 167
(16) أحمد المعتصم الشيخ – مملكة الابواب المسيحية وزمن العنج – القاهرة – مركز الدراسات تالسودانية – 2002م ص 67
(17) أحمد الياس حسين – الوعي بالذات وتأصيل الهوية – ط3 –دار جامعة الخرطوم – 2021م – ص (122-124)